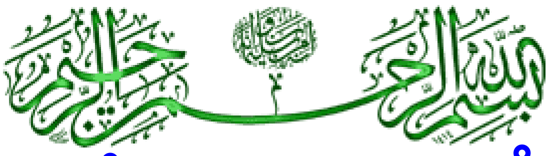
تَسْلِيَةُ المُصَابِ

عِنْدَ فَقْدِ الأَحْبَابِ



تَسْلِيَةُ الْمُصَابِ عِنْدَ فَقْدِ الأحْبَابِ

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.........

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } **(سورة آل عمران: 102)**

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} **(سورة النساء: 1)**

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } **(سورة الأحزاب:70،71)**

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالي- وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عَـزَاءٌ لِمَـنْ فَـقَـدَ الأعِـــزَّاء

هذه كلمات ما قصدت بها إلا تسلية المبتلى وتعزية المُصاب.
فهي تذكرة لأولي الألباب، وتسلية لكل مؤمن مُصاب، تشرح صدره، وتجلب صبره، وتُهوّن خطبه، وتُخفِّف أمره. ويلحظ بها ثوابه على الصبر وأجره.
فمما لا شك فيه أن فقد الأحبة صدع في الفؤاد، وحدث مؤلم مزعج، فهو نار في القلب تستعر، وحرقة في الكبد مشتعلة، ومرارة في الحلق وضيق في الصدر.

لذا نقول لك:

يا مَن فقدت أباً كريماً كان يرعاك في الصغر ويشملك بالحب والنصح والإرشاد والإنفاق في الكِبر.
يا من فقدت أماً حنوناً كان ثديها لك سقاء وبطنها لك وعاء.
يا من فقدت ولدك الحبيب وصديقك العزيز.
يا من فقدتم الأهل والأحباب.
عظّم الله أجركم، وجبر كسركم، وعوَّضكم خيراً مما فقدتم.

واعلموا أن فقد الأحباب ابتلاءٌ واختبار.
فالمسلم من استسلم لقضاء الله، وصبر واحتسب ورضي.
والمصاب هو من حُرِم الثواب الذي وعد به الملك الوهَّاب، حيث قال:

{ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{156} أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ{157} **(البقرة:155ـ157)**

والمصيبة كما قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: هي كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه.

وقد جعل الله عز وجل كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب: **{إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}** ملجأً وملاذاً لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين من الشيطان، لئلا يتسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما كمن، إذا لجأ إلى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة فإن قوله: **{إِنَّا لِلّهِ}** إقرار بالعبودية والملك واعتراف العبد لله بما أصابه منه فالملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وعلى العبد أن يعلم أنه مملوك وليس للملوك في نفسه شيء، وقوله: **{وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}** إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا، فله الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، وفيه كذلك رجاء ما عند الله من الثواب.

كان عمر بن الخطاب يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين.
ـ **يعني بالعدلين:** الصلاة والرحمة، **وبالعلاوة:** الهدى .

وكذا قال سعيد بن المسيب كما عند البخاري تعليقاً(3/137):
ـ **والعلاوة:** ما يُحمل فوق العدلين علي البعير

ولقد وعد الله - تعالى – كل من نزلت به مصيبة فحمده واسترجع، أن يخلف عليه خير مما فقد في هذه الدنيا.

فمن بركة هذا الاسترجاع العاجلة، بالإضافة إلى ما ذكر:

ما ورد عن أم سلمة – رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" ما من مُسلم تُصيبهُ مُصيبة فيقول ما أمره الله:{إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ} اللهم أجرني في مصيبتي، وأخْلِف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها " قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيتٍ هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثُم إني قُلتها فأخلف الله لي رسول الله ﷺ" .

(مسلم)

أما في الآخرة فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبني له بيتاً في الجنة ألا وهو بيت الحمد:

فمن بركة الحمد والاسترجاع في الآخرة: ما رواه أبو سنان قال: دفنت ابني سناناً وأبو طلحة الخولاني جالس عند شفير القبر، فلما فرغت قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد"** **(الترمذي)**

- ثمرة فؤاده: قال ابن الأثير: يقال للولد الثمرة، وذلك لأن الثمرة هي ما تنتجه الشجرة، وكذلك الولد من الرجل ما ينتجه.

فسبحان من ينعم بالبلاء

فليعلم المصاب أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه في ذلك بيت الحمد الذي يبني له في الجنة على حمده واسترجاعه على مصيبته فلينظر أي المصيبتين أعظم،مصيبته العاجلة بفوت محبوبه، أو مصيبته بفوات بيت الحمد في جنة الخلد؟

فيا من نزلت به مصيبة لفقد حبيب لا تنسى أن تقول: {إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}

فهي بلسم الجروح والآلام والأحزان.

قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ:

لم يُعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا، ولو عرفها يعقوب لما قال: **{ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ }** **(يوسف: ٨٤)**

ولذلك شُرع لنا في التعزية أن نقول:

"ـ إنا لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب"ـ

وهذه التعزية هي من أفضل ما يتسلى به المصاب عند فقد الأحباب

فقولنا: **" إن لله ما أخذ"** تعني أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو ملك لكم، بل أخذ الشيء الذي هو له عندكم، فلا داعي للجزع ولا داعي للتسخط.

وقولنا: **" وله ما أعطى"**

أي: ما وهبه الله تعالى لكم ليس خارجاً عن ملكه بل هو سبحانه يفعل فيه ما يشاء.

أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال:

"مات ابن لأبي طلحة من أم سُليم، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.

فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها،

قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم. ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك".

وروي الإمام مالك في الموطأ عن يحي بن سعيد عن القاسم قال:

هلكت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها، فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له إمرأة وكان بها معجباً ولها محباً، فماتت فوجِد عليها وجداً شديداً، وتأسف عليها تأسفاً شديداً، حتى خلا في بيتٍ وأغلق على نفسه واحتجب، وأن امرأة سمعت به فجاءته، فقالت: إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزيني إلا مشافهته فذهب الناس ولزمت بابه، وقالت: مالي منه بد. فقال له قائل: إن هاهنا امرأة أرادت أن تستفيك قال: أئذنوا لها، فدخلت، فقالت: إني استعرت من جارة لي حلياً وكنت ألبسه وأعيره، فلبث عندي زماناً ثم أنهم أرسلوا إلي فيه، أفأرده إليهم؟ قال: نعم، والإله، قالت: إنه مكث عندي زماناً! قال: فذاك أحق لردك إياه إليهم، قالت: أفتتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به، فأبصر ما هو فيه، ونفعه الله بقولها.

وأما قولك: "وكل شيء عنده إلى أجل مُسمى"

أي: من مات وقبض من الأحبة فقد أنتهي أجله المُسمى فلا يمكن أن يتقدم عليه أو يتأخر عنه .

{ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ } **(الأعراف:34)**

فهنا يعلم المصاب بفقد الأحباب أن أى مصيبة تأتيه فإنما هي بإذن الله وأن هذا مقدر عليه ومسطور في كتاب.

قال عز وجل:{ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} **(الحديد: ٢٢)**

إن من تأمل هذه الآية وتدبَّرها وجد فيها شفاء وتبديداً للهموم والأحزان.

وقال تعالى: { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} **(التغابن: ١١)**

قال علقمة ـ رحمه الله ـ: هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضى.

اعلم أخي في الله المُبتلي المكروب أن كل شيء بقدر الله ﷻ

هكذا قال الله ﷻ: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} **(القمر: ٤٩)**

وقال تعالى: { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} **(الفرقان: ٢)**

وكلمة " **شيء** " هنا تفيد العموم، أي: أن كل شيء بقدر الله ﷻ، أي أن كربك هذا وهمومك وأحزانك هذه مٌقدرة وذلك قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف سنة؛ حيث أنه قال ﷺ :

" كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" مسلم
والإيمان بقضاء الله وقدره من جملة الأركان الستة للإيمان،ففي حديث جبريل المشهور،
حين سأل جبريل □ النبي □ عن الإيمان، قال:
" أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" **(مسلم)**
ومنهج الطائفة المنصورة هو الإيمان بالقدر.
فعن طاووس - رحمه الله - قال:
أدركت ناساً من أصحاب رسول الله □ يقولون: ***" كل شيء بقدر"***
قال: وسمعت عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- يقول:
قال رسول الله □: " كل شيء بقدر حتى العجز والكيس"
(مسلم)
وعن ابن الديلمي - رحمه الله - قال: أتيت أُبي بن كعبٍ فقلت له: وقع في نفس شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله أن يُذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أُحد ذهباً في سبيل الله، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولو مُت على غير هذا لدخلت النار، قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حُذيفة بن اليمان، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي □ مثل ذلك
(أحمد بسند صحيح وهو في صحيح الجامع:5244)
فالله □ خلق الخير وقدره وأراده كوناً وشرعاً وخلق الشر وقدره وأراده كوناً وقدراً لا ديناً وشرعاً لحكمة يعلمها هو؛ فالرسول □ قال: **" والشر ليس إليك"**
(مسلم)
وكم من الحكم الظاهرة والخفية من تقدير الله □ للشر الذي هو في معرفتنا القاصرة شر، لكنه بحكمة وليس شر محض. فكل شرٍ يُصيب الإنسان المسلم هو خير له إن كان راضياً به ومؤمناً أنه من عند الله مُقدراً لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه.
فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك □ قال:
" ألا أحدثكم بحديث لا يحدثكم به أحد غيري؟ قالوا: بلي. قال: كنا عند رسول الله □ جلوساً فضحك ثم قال أتدرون لم ضحكت؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال □: عجبت للمؤمن، إن الله □لا يقضي قضاء إلا كان خيراً له"
(صحيح الجامع:3985)
فعلى المؤمن أن يُسلم بقضاء الله وقدره، لأن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر أن تستريح النفس ويطمئن البال ويسعد الفؤاد ويأنس الإنسان بربه ولا يخشي أحداً إلا الله لا الجن ولا الإنس ويطعم حقيقة الإيمان.

فعن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: **دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت**
فقلت: يا أبتاه أوصي واجتهد لي، فقال: أجلسوني، قال: يا بني، إنك لن تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قال: قلت يا أبتاه: فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليُخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول ما خلق الله ـ تبارك وتعالى ـ القلم، ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة " يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار. **(أحمد وأبو داود)**

فيا أيها المصاب بفقد الأحباب....

اعلم أن كل مصيبة تأتي فهي بإذن الله، ووفق قدر معلوم وقضاء مرسوم وحكمة أزلية، وكن علي يقين أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فوطِّن نفسك على هذا.

ما قد قُضي يا نفس فاصطبرى له ... ولك الأمان من الذي لم يقــدر
ثم اعلمــي أن المقــدر كائن ... حتماً عليك صبرت أم لم تصبري

وكان السلف يعلمون هذا جيداً، ***فها هي أحدى الصالحات تقول عندما أصيبت بأحد أبنائها:***

" الحمد لله على السراء والضراء، والعافية والبلاء، والله ما أحب تأخير ما عجل الله، ولا تعجيل ما أخَّرَ الله، وكل ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير.

فما أبرم الله لم ينتقض ... وما نقض الله لم يبرم

اعلم أن الذي قدر عليك الأقدار حكيم خبير لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقدر شيئاً سدى، بل هو رحيم تنوعت رحمته سبحانه وبحمده، يرحم العبد فيعطيه، ثم يرحمه فيوفقه للشكر، ثم يرحمه فيبتليه، ثم يرحمه فيوفقه للصبر، ثم يرحمه فيكفر بالبلاء ذنوبه وآثامه، ثم ينمي حسناته ويرفع درجاته، ثم يرحمه فيخفف من مصيبته وطأتها، ويهون مشقتها ثم يتمم أجرها، فرحمته متقدمة على التدابير السارة والضارة ومتأخرة عنها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فإذا علمت هذا : **"إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده إلى أجل مسمى "**

فهذا يحملك على الصبر والاحتساب، وهذا هو تمام التعزية " فلتصبر ولتحتسب"

يقول المنبجي– رحمه الله – كما في تسلية أهل المصائب صـ 20-22:

ومما يتسلى به المصاب أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند الله، وأنها بقضائه وقدره، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدرها عليه ليهلكه بها ولا ليعذبه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه.

{ مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِراً عَلِيماً} **(النساء: ١٤٧)**

فليعلم المكروب أن حظه من المصيبة ما يحدث له، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط، ومن رضي بقضاء الله جُزي عليه وكان له أجر، ومن لم يرضى بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله، فقضاء الله نافذ كالسيف وأمره واقع، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولكن العبد هو الذي يربح أو يخسر بحسب رضاه وسخطه، جعلنا الله من الراضين بقضائه وقدره.

يقول أكثم بن صيفي: " حيلة من لا حيلة له الصبر"

(جنة الرضا: 3/19، العقد الفريد:3/38)

فإذا ابتليت بمحنة فاصبر لها	**صبر الكـرام فـإن ذلك أسلم**
وإذا ابتليت بكربة فالبس لهـا	**ثـوب السكـوت فإن ذلك أسلم**
لا تشكون إلى العبــاد فإنما	**تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم**

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في عدة الصابرين صـ 32:

وقيل الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب ، والصبر والجزع ضدان، ولهذا يقابل أحدهما بالآخر.

قال تعالي عن أهل النار: {سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} **(إبراهيم: ٢١)**

والجزع قرين العجز وشقيقه، والصبر قرين الكيس(العقل) ومادته

فلو سُئل الجزع من أبوك؟ لقال العجز.

ولو سُئل الكيس من أبوك؟ لقال الصبر.

والنفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو النار، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية، فإن لم يكُ للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب. أهـ

وقول النبي : " فاصبر" يجعلنا نقول: *نعم للصبر ولا للجزع*

وليعلم المصاب أن الجزع لا يرد المصيبة ولا يرفعها بل يضاعفها وهو في الحقيقة يزيد في مصيبته.

بل يعلم المصاب أن الجزع يشمت عدوه ويسوء صديقه ويغضب ربه ويسر شيطانه ويحبط أجره ويضيق نفسه.

وإذا صبر واحتسب أخزى شيطانه وأرضى ربه وسر صديقه فهذا هو الثبات في الأمر الديني

كما قال النبي : " اللهم إنا نسألك التثبت في الأمر" **(الترمذي والنسائي وأحمد)**

فهذا هو الامتثال الأعظم، لا لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور والتسخط على المقدور.

- ***قال بعض الحكماء:*** العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلم البهائم، ***يريد بذلك ما ثبت في الصحيح أن النبي قال:***

" إنما الصبر عند الصدمة الأولى." **(البخاري ومسلم)**

إذا أنت لم تسلُ اصطباراً وحسبة ... سلوت على الأيـام مثل البهائم

والحديث بطوله عند البخاري ومسلم من حديث أنس قال:

" مر النبي بأمرأة تبكي عند قبر، فقال: أتقي الله وأصبري، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه - فأتت باب النبي فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى."

جاء في شرح السنة(5/148):

والصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان عند الصدمة الأولى فور مفاجأة المصيبة وحموتها لأنه إذا طالت الأيام وقع السلو، ونقص الأجر أو لم يؤجر. ودل علي ذلك الحديث السابق

وصدق الشاعر حيث قال:

ما أحسن الصبر في موطنه ... الصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنة عواقـبه ... عـاقبة العبد مـا لها ثمن

وأخرج البخاري بسنده معلقاً:

أن الحسن بن الحسن بن علي - رضي الله عنهم- لما مات ضربت امرأته القبة على قبره سنةً ثم رفعت فسمعوا صائحاً يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا.

وفي رواية: لما تسلت وقلعت الخيمة سمعوا هاتفاً يقول - ولا يرون أحداً - ادركوا ما طلبوا فأجابه: بل يئسوا فانصرفوا.

قال ابن المنير – رحمه الله – كما نقل ذلك الحافظ في الفتح:

إنما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميت بالقرب منه تعليلاً للنفس، وتخييلاً باستصحاب المألوف من الأنس، ومكابرة للحس كما يتعلل بالوقوف على الأطلال البالية ومخاطبة المنازل الخالية فجائتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقبيح ما صنعوا، وكأنهم من الملائكة أو من مؤمني الجن . أهـ

قال ابن القيم- رحمه الله-: كل أحدٍ لابد أن يصبر على بعض ما يكره: إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يُحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد عليه الجزع فائتاً ولم ينتزع عنه مكروهاً، وإن المقدور لا حيلة في دفعه، وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع ضره أقرب من نفعه فإذا كان آخر الأمر الصبر والعبد غير محمود فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

ويعلم المصاب كذلك أن ما يعقبه الصبر والاحتساب، من اللذة والمسرة أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ***وفي الترمذي مرفوعاً:*** **" يود ناس لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء."**

وعند الترمذي: **" يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطي أهل البلاء الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض "**

(صحيح الجامع:8177)

فالجزع وإن بلغ غايته ونهايته فآخر أمره إلى صبر الأضطرار وهو غير محمود ولا مثاب عليه، فإنه استسلم للقدر رغم أنفه والصبر والاحتساب عواقبه محمودة ومثاب عليه في الدنيا والآخرة

فهيا لنتعرف على فضل وثواب الصبر من كتاب ربنا وسنة رسولنا ﷺ ومن آثار سلفنا ـ رضي الله عنهم ـ وألحقنا بهم في عليين آمين يا رب العالمين.

ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه عدة الصابرين في فضل الصبر على البلوى:

إن الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبو وصارماً لا ينبو وجنداً غالباً لا يهزم، وحصنا حصيناً لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وقد مدح الله في كتابه الصابرين

ـ وأخبر أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب: **{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ }** **(الزمر: ١٠)**

ـ وجعل الصابرين يفوزون بمعيته ـ سبحانه وتعالى ـ وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين، **فقال تعالى:** **{ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}** **(الأنفال: ٤٦)**

فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة.

ـ وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين
فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون: **{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}**
(السجدة: ٢٤)

ـ وأخبر تعالى أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمين: **{ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ}** **(النحل: ١٢٦)**

ـ وجعل الصبر والتقوى جُنة من كيد العدو، وأخبر أنه مع الصبر والتقوى لا يضر معه كيد العدو
ولو كان ذا تسليط، **فقال تعالى:** **{ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}**
(آل عمران: ١٢٠)

ـ وعلق الفلاح بالصبر والتقوى **فقال تعالى:**
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} **(آل عمران: ٢٠٠)**

ـ وعلق النصر بالصبر والتقوى، **فقال:**
{ بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ} **(آل عمران: ١٢٥)**

ـ وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين **فقال تعالى:**
{ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}

(آل عمران: ١٤٦)

ـ وخص في الانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور
فقال في أربع آيات من كتابه: **{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}** **(إبراهيم: ٥) ، (لقمان: 31) ، (سبأ:19) ، (الشورى: ٣٣)**

ـ ولهم البشرى من الرب الكريم، **حيث قال في كتابه الكريم:** **{ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ{34} الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ{35}** **(الحج: ٣٤ - ٣٥)**

ـ وأخبر بمضاعفة أجر الصابرين **فقال تعالى:**
{ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } **(القصص: ٥٤)**
وقال تعالى: **{وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ** **... إلى قوله تعالى..** **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}** **(الأحزاب: ٣٥)**

ـ وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار من نصيب الصابرين، **فقال تعالي:**
{ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ{111} قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} **(المؤمنون: ١١١)**

ـ وأخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، **فقال تعالى:**
{ وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ{22} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ{23} سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } **(الرعد: ٢٢ - ٢٤)**

وقال تعالى: **{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ{58} الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ{59}**
(العنكبوت: ٥٨ - ٥٩)

فاعلم ...

أن الصبر هو الدواء الناجع لكل بلية، وهو الترياق النافع لكل رزية، وهو السلاح الماضي الذي لا ينبو ولا يثلم، وهو الجنة الحصينة التي لا تهدم، ويكفي أن صاحبه يظفر بمعية الله، ولو لم يكن في الصبر من فضيلة إلا الفوز بمحبة الله لكفي بها فضيلة **فقد قال تعالى:** **{وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}**
(آل عمران: ١٤٦)

وجعل الله تعالى الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، وعلق الله تعالي الفلاح على الصبر والتقوى، وجعل الصبر كله خير، وجعل لأهل الصبر البشرى في الدنيا والآخرة، ووعدهم بمضاعفة الأجر، وأخبرهم أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب، وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار من نصيب الصابرين.

التعرف على فضيلة الصبر من سنة الحبيب

1. أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قال:

***قال رسول الله ***: **" الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسُبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السماوات**

والأرض، والصلاة نور، والصدقة بُرهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"

2. *وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله * :

" ما رُزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر"

(صحيح الجامع 5626)

3. *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله :*

" ... ومن يتصبر يُصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر."

4. *وعن أبى يحي صُهيب بن سنان قال: قال رسول الله * :

" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كُله له خيرُ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له."

5. *وليعلم العبد أنه على قدر البلاء يُنزل الله الصبر كما قال :*

"إن المعونة تأتي من الله على قدر المئونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء"

(البزار والصحيحة 1664)

وليس هناك جزاء للعبد إلا الجنة

6. *فقد أخرج ابن ماجة بسند حسن أن النبي قال:*

"يقول الله سبحانه: ابن آدم: إن صبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى، لم أرضى لك ثواباً دون الجنة."

7. *وأخرج البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس – رضي الله عنهما-:* " ألا أُريك امرأة من أهل الجنة؟ قُلت: بلي. قال هذه المرأة السوداء آتت النبي قالت: إني أُصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: " إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يُعافيك" قالت: أصبر. قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها". (البخاري ومسلم)

8. *وأخرج البخاري عن أنس قال: سمعت رسول الله يقول:*

" إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة "

ـ **بحبيبتيه:** يريد عينيه

فسبحان من يرحم ببلائه

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ... ويبتلي الله بعض القوم بالنعمِ

أخي المصاب، أخي المكروب..

هذه بعض أحاديث رسول الله ﷺ فلعل فيها لك سلوى، ولعلها كشف لكربتك، فاحتسب مصيبتك وارضى بما قسمه الله لك، فلعل لك عند الله منزلة لا تبلغها بعمل. فما يزال الله يبتليك بحكمته بما تكره، ويصبرك على ما يبتليك حتى تبلغ تلك المنزلة التي سبقت من الله

***كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود أن النبي ﷺ قال*:**

" إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده حتى يُبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى"

فاحمد الله، فحمداً لله حمداً، وشكراً لله شكراً، ورضا بقضائه رضاً، ولهجاً بـإنا لله وإنا إليه راجعون . فهي الصلاة والرحمة والهدي.

ياصاحب الكرب إن الكرب منفرج ... أبشر بخـير فإن الفـارج الله
اليأس يقطع أحيـاناً.. بصـاحبه ... لا تـيـأس فـإن الكـافي الله
الله يحدث بعد الكـرب ميسـرة ... لا تـجزعن فإن الكـاشف الله
إذا بليـت فثق بـالله وأرض به ... إن الذي يكشف البلوي هو الله
والله مـالك غـير الله من أحـد ... فحسـبك الله فـي كلِ لك الله

كلام السلف عن الصبر

1. قال عمر بن الخطاب ؓ*: *" وجدنا خير عيشنا بالصبر".

وقال أيضاً: ***أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.***

2. وقال علي بن أبي طالب ؓ: " ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له، وقال: الصبر مطية لا تكبو".

وروي عن علي بن أبي طالب ؓ لما بلغه وفاة أبي بكر الصديق ؓ قال:

"رضينا عن الله قضاه، وسلمنا له أمره، إنا لله وإنا إليه راجعون.

3. وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبدٍ كريم عنده.

(تسلية أهل المصائب صـ 151)

4. وقال عمر بن عبد العزيز: ***ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه"***
(عدة الصابرين لابن القيم صـ 151)

5. قال سفيان بن عيينة في قوله ﴿ : **{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}** ***لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوساً.***
(السجدة: ٢٤)

6. وعن يونس بن زيد قال: ***سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهي الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة، مثل قبل أن تصيبه.***

7. قال الفضيل بن عياض في قوله تعالي: **{سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }** **(الرعد: ٢٤)**
قال: ***صبروا عما أمروا به، وصبروا عما نُهوا عنه.***

8. وقال بعضهم: ***أقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة إلى كل سوء، فرحم الله امرأ، جعل لنفسه خطاماً وزماماً، فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وصرفها بزمامها عن معاصي الله، فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه.***

9. صبر يُلحقُكَ بالملائكة....... قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:
الإنسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة، التحق بالملائكة، وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره، التحق بالشياطين، وإن غلب باعث طبعه– من الأكل والشرب والجماع – صبره، التحق بالبهائم. قال قتادة: خلق الله سبحانه الملائكة عقولاً بل شهوات، وخلق البهائم شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشهوة، فمن غلب عقله شهوته فهو مع الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم".

ومن علامات الصبر: عدم الشكوى إلى الخلق:

فالأنين والشكوى إلى الخلق وإن كان فيها راحة للمصاب إلا أنها تدل على ضعف وخور، والصبر عليها دليل قوة وعزة وهي إشاعة سر الله تعالى عند العبد، وهي تؤثر شماتة الأعداء، ورحمة الأصدقاء

قال بعضهم:

لا تشكون إلى صديق حالة ... تأتيك في السـراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة ... في القلب مثل شماتة الأعداء

قال أحد الصالحين وقد رأى أخاه يشكو إلى الخلق:
يا هذا ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك.

وفي ذلك قيل:

إذا شكـوت إلي ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلي الذي لا يرحم

وقال علي ﴿:
من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك، ولا تذكر مصيبتك.

وقال شقيق البلخي: من شكا مصيبة به إلي غير الله، لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبداً.

وقال بعض الحكماء: كنوز البر كتمان المصائب.

قال عبدالعزيز بن أبي روّاد: ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الصدقة.

ـ رُوي أنه كان في زمن حاتم الأصم رجل يُقال له مُعاذٌ الكبير، أصابته مصيبة فجزع منها وأمر بإحضار النائحات، وكسر الأواني فسمعه حاتم، فذهب إلى تعزيته مع تلامذته، **وأمر تلميذاً له فقال:**

إذا جلست فاسألني عن قوله تعالي: **{ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ }** **(العاديات: ٦)**

فسأله فقال حاتم: ليس هذا موضع السؤال، فسأله ثانيا وثالثاً.

فقال: معناه أن الإنسان لكفور، عدَّادٌ للمصائب، نسَّاءٌ للنعم. مثل معاذٍ هذا، إن الله ـ تبارك وتعالي ـ متعه بالنعم خمسين سنة، فلم يجمع الناس عليها شاكراً لله ، فلما أصابته مصيبة جمع الناس يشكو من الله تعالي. فقال معاذ: بلى. إن معاذ لكنود عدَّاد للمصائب، نسَّاء للنعم.

فأمر بإخراج النائحات وتاب عن ذلك

أما الشكوى إلي الله فلا تنافي الصبر

أما الشكوى إلى الله فلا تنافي الصبر، قال الله تعالى مخبراً عن يعقوب : **{ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ }** **(يوسف: 86)** ، مع قوله**:{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ }** **(يوسف:18)**

وقال أيوب **:** **{ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}** **(الأنبياء: ٨٣)**

وقال عنه **:** **{ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** **(ص: ٤٤)**

مـن ثـمـرات الـصـبـر: الـرضــا

ويعلم المصاب أن حظه من المصيبة ما يحدث له فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله. فاختر لنفسك خير الحظوظ أو شرها، فإن أحدثت له سخطاً وكفراً كنت في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له رضاً وفرحاً بقضائه كنت في ديوان الراضين.

أخرج ابن ماجة والترمذي عن أنس أن النبي قال:

" إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط".

فمن أنفع الأدوية للمصاب بفقد الأحباب أن يوافق ربه وإلهه فيما قضاه ويرضى به.

يقول أبو الدرداء- رضي الله عنه-: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى العبد به.

فلا لِلَطْمِ الخدود ولا لشق الجيوب، ولا الدعاء بالويل والثبور والتسخط على المقدور، والجزع على المفقود، فإن هذا لا يرد مافات.

قال بعض السلف وقد عزى مُصاباً: إن صبرت فهي مصيبة واحدة وإن لم تصبر فهما مصيبتان.

أي: مصيبة على فقد الأحباب، والمصيبة الثانية ضياع الأجر.

ومن أمثال العرب: فقد الصبر أدهي المصيبتين" **(جنة الرضا:3/14)**

قال علي بن أبي طالب :

من رضي بقضاء الله جري عليه وكان له أجر ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله.

فقضاء الله نافذ كالسيف، وأمره واقع، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولكن العبد هو الذي يربح أو يخسر بحسب رضاه أو سخطه.

ـ يقول المنبجي –رحمه الله – كما في تسلية أهل المصائب صـ 45:

وليحذر العبد كل الحذر أن يتكلم في حال مُصيبته وبكائه بشيء يُحبط به أجره، ويسخط به ربه، مما يشبه التظلم، فإن الله تعالي عدل لا يجور، وعالم لا يضل ولا يجهل، وحكيم أفعاله كلها حكم ومصالح، ما يفعل شيئاً إلا لحكمة، فإنه سبحانه له ما أعطي وله ما أخذ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء له الخلق والأمر، بل إنما يتكلم العبد بكلام يُرضي به ربه، ويكثر به أجره، ويرفع به قدره.

وفي سلوة الحزين يُذكر أن أعرابية فقدت أباها ثم وقفت بعد دفنه فقالت:

"يا أبتي، إن في الله عوضاً عن فقدك، وفي رسوله من مصيبتك أسوة.. ثم قالت: ربي لك الحمد، اللهم نزل عبدك مفتقراً من الزاد، مخشوشن المهاد، غنياً عما في أيدي العباد، فقيراً إلى ما في يدك يا جوَّاد، وأنت يا ربي خير من نزل بك المرملون، واستغني بفضلك المقلون، وولج في سعة رحمتك المذنبون، اللهم فليكن قرى عبدك منك رحمتك، ومهاده جنتك"

ثم انصرفت راضية محتسبة مأجورة بإذن الله غير مأزورة.

قال بعضهم: لن يري في الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله تعالى على كل حال، فمن وهب له الرضا فقد بلغ أفضل الدرجات.

فالرضا هو باب الله الأعظم وجنة الدنيا، ومستراح العابدين. وأهل الرضا تارة يلاحظون المُبتلى وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون عظمته وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعروا بالألم

أصبح أعرابي وقد ماتت له أباعر كثيرة فقال:

لا والذي أنا عبد في عبـادته … لولا شماتة أعداء ذوي إحن
ما سرني أن إبلي في مباركها … وأن شيئاً قضـاه الله لم يكن

ـ قال بعض الحكماء: إن لله عباداً يستقبلون المصائب بالبشر قال: فقال: أولئك الذين صفت من الدنيا قلوبهم.

قال وهب بن منبه: وجدت في زبور داود يقول الله تعالى:

"يا داود هل تدرى من أسرع الناس ممراً على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي، وألسنتهم رطبة من ذكري"

وها هي أعرابية اسمها أم غسان كما في " عيون الأخبار":

فقدت جميع أبنائها وفوق ذلك كف بصرها، مصيبة وأي مصيبة ؟ كانت تعيش بمغزلها وتقول:

لكل اجتماع من خليلين فـرقة وكل الذي دون الممات قليل
وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خلـيل

الحمد لله على ما قضى، رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين بالله على بيت ضيق الفناء قليل الإيواء.

ويقول أحد المعزين في لطائف التعازي لقاضٍ من قضاة بلخ توفيت أمه قال له:

إن كانت وفاتها عظة لك فأعظم الله أجرك على موتها، وإن لم تكن لك عظة فأعظم الله أجرك على موت قلبك، **ثم قال:** أيها القاضي: أنت تحكم بين عباد الله منذ ثلاثين سنة ولم يرد عليك أحدٌ حكماً، فكيف بحكم واحد عليك من الواحد الأحد ترده ولا ترضى به؟ فسري عنه وكشف ما به وقال: تعزيت تعزيت.

ـ وأما قول النبي ﷺ: **" وتحتسب"** لما في الاحتساب من فضل .

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

يقول الله تعالي: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة"

ـ **صفية:** هو الحبيب المصافي كالولد والأخ، وكل من أحبه الإنسان ، **وقيل الصفي:** هو من يصطفيه الإنسان ويختاره من ولد وأخ أو عم أو أب أو أم أو صديق. فكل من يصطفيه الإنسان ويختاره ويري أنه ذو صلة منه قوية فهو الصفي.

ـ **يحتسبه:** أي يدخره عند الله تعالى، وذلك ينبئ عن الصبر والتسليم

والمراد باحتسبه: أي صبر على فقده، راجياً الأجر من الله على ذلك. **(فتح الباري:11/242)**

ـ فلما كانت المصائب على اختلاف أنواعها من موت وغيره من نوائب الزمان ـ خطباً مؤلماً موجعاً وأمراً مهولاً مزعجاً كان جزاء المحتسب الصابر عليها الجنة فيا لها من بشارة.

وفي صحيح الجامع: **والذي نفسي بيده إن السقط[1] ليجرُّ أمه بسرره [2] إلي الجنة إذا احتسبته "**

---

[1]) **السقط: هو الذي يموت قبل اكتمال نموه .**
[2]) **السرر: هو ما تقطعه القابلة (أي الحبل السري) .**

وفي صحيح الجامع أيضاً: **" بخٍ بخٍ[1] لخمس ما أثقلهُنَّ في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح، يُتوفَّي للمرء المسلم فيحتسِبَهُ "**

فيا من فقدت أحبابك أصبر واحتسب حتى لا يفوتك هذا الأجر وتصبح المصيبة مصيبتان، فقد الأحبة وضياع الأجر.

ـ وروي ابن أبي حاتم بسنده عن خالد بن يزيد عن عياض عن عقبة، أنه مات له ابن يقال له يحيى، فلما نزل بقبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه، فقال والده: وما يمنعني أن أحتسبه وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟

فلله ما أحسن فهمهم، ولله ما أحسن تعزيتهم لأنفسهم . وثقتهم بما أعطى الله ـ عز وجل ـ من ثواب للصابرين المحتسبين

وجاء في سير أعلام النبلاء للذهبي – رحمه الله -:

أن عمرو □ خطب في الناس يوم وقع الطاعون بأرض الشام فقال:

إن هذا الطاعون رجز ففروا منه بالأودية والشعاب.

فبلغ ذلك شرحبيل بن حسنة □ فغضب وجاء يجر ثوبه ونعلاه في يده قائلا: لقد صحبت رسول الله □ فاسمعوا، الطاعون رحمة ربكم ودعوة نبيكم، يستشهد الله به أنفسكم ويزكي أعمالكم

فبلغ ذلك معاذاً □ وهو يتوق للشهادة فقال: اللهم اجعل نصيب أهل بيت معاذ الأوفر منه.

لأنه يعلم أن من أصيب به له مثل أجر الشهيد، فتصاب ابنتاه الاثنتان وتموتان، فدفنهما بقبرٍ واحد وحمد الله واسترجع، ثم أصيب ابنه عبد الرحمن وهو من أعز أبنائه .

فقال معاذاً لابنه: كيف تجدك؟

قال: أبتاه، الحق من ربك فلا تكن من الممترين .

فقال معاذ □: ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

ثم توفي رحمه الله، ثم أصاب الطاعون كف معاذ ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ فجعل يقبلها ويقول:

لهي أحب إلى من حمر النعم، ثم يغشي عليه، فإذا أسري عنه قال: يا رب غم غمك واخنق خنقك فوعزتك إنك لتعلم أني لأحبك .

ثم لقي الله □ بعد أن احتسب أهل بيته جميعاً فما كان إلا الرضا والتسليم بقضائه وقدره.

وصدق القائل حيث قال:

أقول وقد فاضت دموعي غزيرة — أري الأرض تبقي والأخلاء تذهب
أخلائي لو غير الممات أصابكم — جزعت ولكن ما على الموت معتب

وقالوا قديماً: الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر.

---

[1]) بخٍ بخٍ: كلمة تُقال عند الرضا بالشيء، وهي مبنية علي الكسر والتنوين وتخفف في الأكثر.

وهناك أمور تُهَوِّن على الـمُصاب عند فقد الأحباب وترفع عنه الآلام والأحزان، وتجعله في رضا تام

ومن هذه الأمور:

1ـ أن يعلم المصاب بفقد الأحباب أن مصيبته مهما عظمت فهي هينة سهلة يسيرة طالما أنها ليست في الدين:

فالمصيبة في الدين من أعظم المصائب في الدنيا والآخرة وهي نهاية الخسران الذي لا ربح معه والحرمان الذي لا عوض بعده.

قال السفاريني – عليه رحمة الله -:

المصائب تتفاوت، فأعظمها مصيبة الدين، نعوذ بالله من ذلك فإنها أعظم مصيبة، والمسلوب من سُلب دينه.

وكل كسر لعل الله جابره وما لكسر قناة الدين جبرانُ

ولذلك كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء فيقول:

"ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا".

فإذا رأيت إنساناً لا يبالي بما أصابه في دينه من ارتكاب الذنوب والخطايا، ومن فوات الجمعة والجماعة وأوقات الطاعة، وولوغٍ في المحرمات ومن انتهاك للحرمات، وانتهاك لحدود الله وتجاوز لها، فاعلمٍ أنه المصاب حقاً، ثم اعلم أخري أنه ميت لا يحس بألم المصيبة ولا يشعر:

{ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} **(النمل: ٨٠)**

وبعد مصيبة الدين، المصيبة في النفس ثم في الأهل ثم في المال، وكلها تتفاوت وتتدرج إلى أن تكون المصيبة في الشوكة وفي قطع شسع النعل، وهذا في غاية الخسة كما تعلمون.

يقول شريح – رحمه الله – كما عند ابن أبي الدنيا:

إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله ﷻ عليها أربع مرات :

أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع، لما أرجو فيه من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الدين إن ضيعت من عوض

قال عمر ﷺ يقول كما ذكر ذلك الغزالي في الأحياء (4/229):

ما ابتليت ببلاء إلا كان لله عليّ فيه أربع نعم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، إذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه.

فكل مصيبة في دنيا الإنسان قد تُعوض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوض، ولذلك حين خُير يوسف ﷺ بين أن يُصاب في دنياه فيُسجن ويكون من الصاغرين، وأن يُصاب في دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين، **كما قالت امرأة العزيز للنسوة:**

{ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ } **(يوسف: ٣٢)**

حين خُير يوسف ﷺ بين الأمرين كان لابد أن يختار مصيبة الدنيا، **فقال:**

{ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } **(يوسف: ٣٣)**

(الإيمان والحياة د/يوسف القرضاوي صـ 148)

قال رجل لسهل بن عبد الله التستري – رحمه الله-:

دخل لص بيتي وأخذ متاعي، فقال: أشكر الله تعالى، قال: كيف وقد سرق متاعي، قال: فأحمد الله ن فكيف لو دخل الشيطان قلبك فافسد عليك دينك؟ فماذا كنت تصنع؟

ـ وروي أن امرأة من العرب: مرت بإبنين لها وقد قتلوا فقالت: الحمد لله رب العالمين، ثم قالت:

وكل بلوى يصيب المرء عافية ... ما لم يصيب يوماً يلقي الله في النار

ـ كانت امرأة من العابدات بالبصرة تصاب بالمصائب فلا تجزع، فذكر لها ذلك، فقالت: ما أصاب بمصيبة فأذكر معها النار إلا صارت في عيني أصغر من الذباب.

فاحمد الله أنك لم تكن مصاباً في دينك بفقد الإيمان، أو الاتصاف بالنفاق أو بالتقصير في واجب أو الوقوع في محرم. فهذه هي المصيبة على الحقيقة.

ومن أعظم المصائب في الدين موت الرسول ﷺ

قال في تسلية المصاب:

ومن أعظم المصائب في الدين موت النبي ﷺ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛لأن بموته ﷺ انقطع الوحي من السماء إلى يوم القيامة، وانقطعت النبوات، وكان موته أول ظهور الشر والفساد، بارتداد العرب عن الدين، فهو أول انقطاع عُرى الدين ونقصانه، وفيها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التي لا تُحصى.

قال أنس بن مالك ﷺ: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا. **(رواه ابن ماجة)**

قال ﷺ: **"إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب"**

(البيهقي في شعب الإيمان، و صحيح الجامع: 347، والصحيحة:1106)

ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه موافقاً لهذا الحديث حيث يقول لرجل مات ابن له يُدعى محمد:

اصبر لكـل مُصيـبة وتجـلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما تري أن المصـائب جمة ... وتري المنية للعبـاد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيـل لست عنه بأوحد
فـإذا ذكرت محمداً ومصـابه ... فاجعل مصـابك بالنبي

محمد

يقول الشيخ المنير في كتابه تسلية المصاب:

ولاشك أن المؤمن متى استحضر عند فقه حبيبه أنه قد أصيب قبل ذلك بفقد أحب الأحباب النبي -الأواب أفضل الخلق على الإطلاق، حبيب الملك العظيم الخلاق، الذي كان سبباً في إخراجه من الظلمات إلى النور، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى الهدي، ومن الباطل إلى الحق، ومن النار إلى الجنة، فلا شك ولا ريب أنه تهون عليه مصيبته وتسهل عليه رزيته.

وأخرج البيهقي بسند صحيح أن النبي قال:

" يا أيها الناس! أيما أحد من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي، عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي، لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي"

" وحقيق من نزلت به مصيبة من فقد من يعز عليه أن يتعزي بالمصيبة في النبي ، إذا تأمل ذلك حق التأمل، فإن مصيبته تخف عليه غاية الخفة، وإلا فكم بين المصيبة بأكرم الخلق علي ربه، والرحمة المهداة إلى خلق، الذي جعله الله للأنام هادياً، وإلى داره داعياً، وعلى نجاتنا حريصاً، وبنا رءوفاً رحيماً، وفينا يوم القيامة شفيعاً، وإلي كافتنا بشيراً ونذيراً، فهدانا الله به إلى الحق، وأخذ بحجرنا عن النار، وبين لنا ما أحل الله وما حرم، وأرشدنا إلى التي هي أقوم وخلف فينا كتاب الله العزيز، وقرآنه المبين، نوراً فارقاً بين الحق والباطل، شاهداً بأنه منزل من عند الله، صادعاً إلى اليوم بمعجزته العظمى، فكم بين المصيبة به وبين المصيبة بولدٍ أو زوج **لعلهما ممن قال الله فيهما:**

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}
(التغابن: ١٤)

أو والد أو أم أو أخ أو عم ! ,إن كانت سبقتهم ما عسى أن تكون، والمصلحة فيهم ما عسى أن تفرض، والمحبة لهم ومنهم منتهية إلى الغاية القصوى، ومتطابقة منهم العلانية والنجوى! فكم جاءت من أمثال هؤلاء عظائم من الآفات، وكم انقلبت منهم إلى عكسها صحيح المودات

وإلى ذلك أشار أحمد بن محمد " ابن العريف" :

إذا حلت بساحتك الرزايا	**فلا تجزع لها جزع الصبي**
فإن لكل حـادثة عـزاءً	**إلا ما قد كان من فقد النبي**

فما من عزيز أو حبيب أو قريب أو صديق فقدناه إلا وذاق القلب من لوعة فراقة وحرقة وداعه ما الله به عليم، فهل شعرنا بهذا ونحن نستشعر موت النبي وهو القائل كما عند البخاري ومسلم:

" لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" .

إن فقد النبي من أعظم مصائب الدين وإن أي إنسان فقدته ليهون أمام فقد النبي .

يا نفس بعد المصطفي أفتطمعي	**في الخلد؟ كلا ما إليه من سبيل**

هل فقدت أمك يوماً ما؟ وهل تذكرت عند موتها وأنت تتألم لموتها أنها بإذن الله أخرجتك من ظلمات البطن إلى نور الدنيا ورعتك وربتك.
فهل تنسى في خضم ذلك الشعور أن الله أخرجك بدعوة محمد من ظلمات الضلالة إلى نور الهدي والتوحيد؟
وهذا بإذن الله إنقاذ لك من الخلود في النار، فهل بحنان أمك وعطفها ورعايتها تنقذ من الخلود في النار؟ لا والله.. فلو كان لكل واحد منا ألف أم بحنان أمه وعطفها ومتن في يوم واحد ما ينبغي أن يحزن عليهن أكثر من حزنه على النبي .
فإذا فقدت ابنك، فإذا فقدت حبيبك، فإذا فقدت صديقك، فتألمت وبكيت ثم زاد ألمك وزاد بكاؤك وزادت لوعتك بتذكر عونه ومساعدته وعطفه وبره وصلته، فاعلم – والذي لا إله إلا هو- أن كل ذلك لن يبلغ ما قدمه لك رسول الله من هدى ونور تدخلك بعون الله جنات عرضها السموات والأرض لتخلد فيها وتنعم.
نعم. نمتع بعون الأبناء وعطفهم سنوات سرعان ما تمضي لكن التمتع في الجنة لا نهاية له ولا آخر.

2ـ ومما يفرج عن المصاب بفقد الأحباب: التأسي بأهل المصائب:
فما بيت من البيوت إلا وكما ملئ فرحاً إلا وملئ ترحاً وحزناً
قال عبد الله بن مسعود :
"لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً. "
فبرد التأسي بأهل المصائب يطفئ نار المصيبة ويهون الخطب.
قالت الخنساء ـ رضي الله عنها ـ تنعي أخاها صخراً وذلك قبل الإسلام:

ولولا كثرة الباكيـن حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنهم بالتأسي

(ديوان الخنساء:صـ 84)

فالمصائب في الدنيا إذا عمت صارت مسلاه، وتسلى الناس بعضهم ببعض.
أما في الآخرة فقد حرم الله أهل النار من أن يتسلى بعضهم ببعض، وأغلق دونهم هذا الباب، زيادة في تعذيبهم وتنكيلهم **كما قال تعالي:** **{ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}** (الزخرف: ٣٩)
وذكر ابن الجوزي بإسناده عن عبد الله بن زياد قال:
حدثني بعض من قرأ في الكتب أن ذا القرنين لما رجع من مشارق الأرض ومغاربها وبلغ أرض بابل مرض مرضاً شديداً، فعلم أنه مرض الموت وأشفق على نفسه فكتب لأمه معزياً في ذكاء قائلاً:
يا أماه، إذا جاءك كتابي فاصنعي طعاماً واجمعي من قدرت من الناس ولا يأكل طعامك من أصيب بمصيبة، وتسألي هل وجدت لشيء قراراً. إني لأرجو أن الذي أذهب إليه خيراً مما أنا فيه.
فلما وصل كتابه صنعت طعاماً عظيماً وجمعت الناس وقالت: لا يأكل هذا من أصيب بمصيبة.
فلم يتقدم أحد من هذا الطعام، فعلمت مراد ابنها فقالت: بني، من مبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت وعزيتني فتعزيت فعليك السلام حياً وميتاً.
(تسلية أهل المصائب صـ 20،21)

ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه: أن اصنعي طعاماً يحضره الناس، ثم تقدمي إليهم أن لا يأكل منه محزون، ففعلت، فلم يبسط أحد إليه يده، فقالت: ما لكم لا تأكلون؟! فقالوا: إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون، وليس منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب!! فقالت: مات والله ابني، وما أوصَى إلي بهذا إلا ليعزيني به!! **(العقد الفريد: 3/233، جنة الرضا: 3/26)**

قال ابن القيم – رحمه الله – : ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل واد بنو سعد، ولينظر يمنة فهل يري إلا محنة؟! ثم ليعطف يسرة فهل يرى إلا حسرة؟! وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه وأن سرور الدنيا أحلام نوم، أو

كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً ساءت دهراً، وإن متعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت داراً خيرة إلا ملأتهاعبرة، ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور.

قال عبد الله بن مسعود : "لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً "

وقال ابن سيرين ـ رحمه الله ـ:

ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء.."

(زاد المعاد: 4/190)

فالمصائب في الدنيا إذا عمت هان الخطب وتسلى الناس بعضهم ببعض وكل مصاب بفقد الأحباب لو فتش هذا العالم كله، لم ير إلا مبتلى بفوات محبوب، أو بحصول مكروب، فهذا يسرى عنه. وإذا نظر حوله في كل قرية أو مدينة بل في كل بيت من أصيب مرة ومنهم من أصيب مراراً، وليس ذلك بمنقطع حتى يأتي على جميع أهل البيت حتى نفس المصاب سيصاب يوماً بنفسه أسوة بأمثاله ممن تقدمه.

وليعلم كل مصاب أنه مهما نزلت به مصيبة فهناك من الناس من أصيب بأعظم منها وإذا نظر إلى أحوال المكروبين وجد أن مصيبته بينهم ما هي إلا ذرة في فضاء المصائب وقطرة في بحار الكروب فيهون عليه الخطب.

تـأس أطـال الله عمـرك بالألـى مضوا ولهم ذكـر جمـيـل مخلد
فلو لم يكن في الموت خير لمن مضى لما مــات خـير الأنبياء محمدُ

وقال سلام بن أبي مطيع ـ رحمه الله ـ:

" دخلت على مريض أعوده، فإذا هو يئن، فقلت له: اذكر المطروحين في الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم، ولا لهم من يخدمهم. قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعه يئن قال وجعل يقول: اذكر المطروحين في الطريق، اذكر من لا مأوى له ولا له من يخدمه" **(الشكر لابن أبي الدنيا صـ 135)**

وقال الماوردي ـ رحمه الله ـ:

" ومنها أن يتأسي بذوي الغير، ويتسلى بأولي العبر، ويعلم أنهم الأكثرون عدداً، والأسرعون مدداً، فيستجد من سلوه الأسى، وحسن العزاء ما يخفف شجوه، ويقلل همّه. **(أدب الدنيا والدين صـ 463)**

3ـ ومما يهون على المصاب بفقد الأحباب ويرفع عنه الآلام والأحزان: الاستعانة بالصلاة:

عن حُذيفة قال: كان النبي □ إذا حزبه أمر صلَّى.
(أحمد وأبو داود في صحيح أبي داود (1192) بسند حسن حسنه الألباني)

ـ **قال في النهاية:** حزبه: نزل به مُهم أو أصابه غم.

وروي سعيد بن منصور أن ابن عباس □ نعى إليه أخوه قثم – وهو في سفر- فاسترجع ثم تنحى عن الطريق، فأناخ ثم صلى ركعتين فأطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول:

{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}
(البقرة: ٤٥)

4ـ ومما يفرج عن المصاب بفقد الأحباب: الدعاء لكشف الهموم والغموم:

يا من فجعت في حبيبك وأصابك من الهم والغم ما الله به عليم فعليك بالدعاء؛ فإن الله يكشف به الضراء.

فإن الله □قال: { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }
(غافر: ٦٠)

يا أيها المكروب خاصة، يا أيها الناس عامة، ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، ففيه المطمع وإليه المفزع،
لا إله إلا هو من لكم غيره يجبر كسركم؟
من لكم غيره يبدد أحزانكم ؟
من لكم غيره يؤنسكم في وحشتكم؟
من لكم إذا دفعتم عن الأبواب إلا بابه؟
من لكم غيره أعز مطلوب وأشرف مرغوب؟
فيا من دخلت عليه الهموم والغموم والأحزان عليه من كل باب، وأتته من كل طريق، ارفعوا أكف الضراعة، وعليكم بهذا الدعاء الذي يكشف الله به الهموم ويزيل به الغموم والأحزان .

فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم والطبراني بسند صحيح أن النبي □ قال:

" ما أصاب عبداً قط هم ولا غم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي،إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً" . قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلي ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها. "

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في شفاء العليل ما ملخصه:

استوعب هذا الحديث الصحيح أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب، والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب، أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزناً, والغم يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم، فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وأدوائه، وقد تنوع الناس فذي طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله بل كل أحد يسعى في الخلاص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة كمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبائرها إلى أصغرها وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالتها، وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء التوحيد والاستغفار،

قال الله تعالي: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ } (محمد : ١٩)

فالتوحيد يدخل العبد على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه فإذا وصل القلب إليه زال همه وغمه وحزنه وإذا انقطع عنه حضرته الهموم والغموم والأحزان وأتته من كل طريق. ودخلت عليه من كل باب، فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب للهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقاً منه ومن آبائه ثم اتبع ذلك باعترافه بأنه في قبضته وملكه وتحت تصرفه يكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما يقاد من أمسك بيده شديد القوى، لا يستطيع إلا الانقياد له ثم اتبع ذلك بإقرار له بنفاذ حكمه فيه وجريانه عليه شاء أم أبى وإذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره برده أبداً، وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف، ثم أتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال: **" ماض في حكمك، وعدل في قضاؤك "** ومن لم يثلج صدره بهذا ويكون له كالعلم الضروري لم يعرف ربه وكماله، ونفسه وعيبه ولا عدل في حكمه بل هو ظلوم جهول فنفوذ حكمه في عباده بملكه، وعدله فيهم بحمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال:

{ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (هود: ٥٦)

وهناك جملة من الأدعية جعلها الله سبباً في كشف الهموم والغموم نذكرها لأهميتها ولإتمام الفائدة:

1. أخرج الطبراني في الكبير عن أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ قالت:

قال لي رسول الله ﷺ:" **ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب ـ أو في الكرب ـ : الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً".**

وفي رواية قال ﷺ: " من أصابه هم أو غم أو سقم أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه"

(صحيح الجامع: 4571)

2. ***وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب***: **" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم."**

3. ***وأخرج الترمذي بسند صحيح: عن أنس*** ﷺ، ***عن النبي*** ﷺ ***أنه كان إذا كربه أمر قال:***

" يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث"

(صحيح الترمذي: 2796)

4. وأخرج الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح عن أبي بكرة ﷺ ***أن رسول الله*** ﷺ ***قال:***

" دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ، وأصلح لي شأني كُله لا إله إلا أنت "

(صحيح الجامع: 3388)

5. وأخرج ابن أبي الدنيا في (الفرج) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

قال ﷺ: **" كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم "**

(صحيح الجامع: 4571)

6. وإذا كثرت الأحزان والهموم فُغلب على عقلك ولم تذكر شيئاً فلا تنس أن تدعو بدعوة ذي النون حتى يكشف الله همك وغمك.

فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص ﷺ ***قال: قال رسول الله***ﷺ:

" دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت:" لا إله إلا أنت سُبحانك إني كنت من الظالمين"

لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له."

(صحيح الترمذي: 3052)

وأخيراً ...

أيها المصابون عليكم من الله الرحمات، عدد ما سكبتم من العبرات وكظمتم من الأنَّات، وجعل الله مصابكم من الباقيات الصالحات، وأمنكم من الفزع يوم تنشر السجلات، وتقبل الله منا ومنكم وكتب لنا السعادة في الحياة الدنيا وبعد الممات.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسر جمعه في هذه الرسالة

نسأل الله أن يكتب لها القبول وأن يتقبلها منا بقبول حسن، كما أسأله سبحانه أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان علي إخراجها ونشرها ......إنه ولي ذلك والقادر عليه .

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا بشأن أي عمل بشري يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لاعيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

هذا والله تعالى أعلى وأعلم ....

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك